

قيم المواطنة لدى الشباب تائهة بين الطائفة والقومية والعرق

شعارات المحتجين في لبنان والعراق تمثل نقطة تحول في وعي الشباب



بداية التغيير نحو قيم المواطنة

عاما وانتهت في عام 1990، بمحاصرة طائفية، تجاوز الشباب اللبناني اختلافات الطبقات الاجتماعية والطوائف والديانات المختلفة، ووجدوا جهودهم للتعبير عن مطلب واحد وهو استقالة حكومتهم، المتهمة بالإهمال والفساد. كما برزت دعوات الشباب على الشبكات الاجتماعية للمعصل على تقديم الوطن والدولة على المعتقد والمذهب، بغية مواكبة ركب الدول المدنية التي تتخذ من الوطن عنوانا والعقيدة هامشا.

ويحاول البعض وضع إصبعه على نقاط الضعف والأسباب وراء أزمة الهوية الوطنية أو الإحساس بالانتماء، ويقول

وبهذه الطريقة "تحل الطائفة محل الوطن".

تصريحات الخطيب تشير إلى مدى وعي الشباب اللبناني وإدراكهم حقيقة مزاعم السياسيين الحريصين على المحاصصة الطائفية وإبقاء الأوضاع الراهنة على ما هي عليه لبقاء شباب الطائفة والحزب تحت أجنحتهم وولائهم بدلا من الوطن.

ويتحدث الكاتب جيمس دورسي في مقال نشره موقع "أوراسيا ريفيو" عن احتجاجات الشباب على الأوضاع في لبنان والعراق، قائلاً إن الاحتجاجات في لبنان تطورت إلى أكثر من مجرد صراع ضد حكومة فاشلة وفسادة إلى المطالبة بإصلاح دستوري، وإن العراقيين يجتجون ضد الفساد وضد النفوذ الإيراني في البلاد، مضيفاً أن هذه المظاهرات تجاوزت الطائفية.

وأضاف "أسفرت الاحتجاجات في لبنان عن عدة مواجهات مع الحكومة امتدت شرارتها ضد حكومات أخرى أعاققت حركة التنمية في دول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وطالب المحججون بضرورة إنشاء نظام سياسي واجتماعي يرتكز على الهوية الوطنية لا الطائفية أو العرقية فهتقوا في احتجاجاتهم عدة شعارات منها "واحد، واحد، كلنا شعب واحد" وتأكيدا لذلك شكل عشرات الآلاف من المتظاهرين سلسلة بشرية امتدت على طول ساحل البحر المتوسط في لبنان".

وتتعدد أسباب الاحتجاجات التي تنتشر في الولايات المتحدة الآن إلى أن أزمة المواطنة لا تتعلق فقط بالشباب في العالم العربي، فأوجه التربية غير الجامعة في المجتمع الأميركي أيضا وقفت عائقا أمام تقبل ذوي الأصول الأفريقية كمواطنين لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات.

ويلقى الكثيرون باللوم على الرئيس الأميركي دونالد ترامب في ما تشهده الولايات المتحدة من انقسام مجتمعي، وفي طريقة التعامل العنيف للشرطة مع المتظاهرين، لكن الغضب المتصاعد في البلاد له جذور أعمق من ذلك.

ونذكرت دويتشه في تقرير لها، أن وصول باراك أوباما كأول رئيس أميركي من أصول أفريقية إلى الحكم في الولايات المتحدة لم يكن أمرا جيدا لدى البعض ممن يكرهون الآخر المختلف، غير الأبيض، غير الأميركي، المهاجر، حتى وإن كان أوباما هو مجرد الابن لأم أفريقية وأم أميركية.

وأشارت صحيفة "لوموند" الفرنسية بتجربة الشباب اللبنانية في تجاوز اختلافاتهم الطائفية والاجتماعية لمصلحة الوطن، وتحت عنوان "غضبنا يقربنا، أسقطنا جدار المخاوف الطائفية: الشعب اللبناني متحد ضد قاداته"، أوضحت الصحيفة أن مئات الآلاف من اللبنانيين يظاهرون في أجواء استثنائية من الحماسة والاتحاد رغم خلافاتهم الطائفية التي مزقت بلادهم لسنوات.

ولاول مرة منذ الحرب الأهلية اللبنانية التي استمرت أكثر من 16

والمذهبية، وشملت شعارات المتظاهرين المطالبين بالقضاء على الفساد، مطالب فصل الدين عن السياسة، لتكون بمثابة الشرارة الأولى لبدء استعادة قيم المواطنة التي تجمع تحت مظلتها جميع الطوائف والأعراف والقوميات، مهما بدا هذا بعيد المنال.

وأطلق البعض عبارة "الوعي الشيعي" على احتجاجات الشباب التي انطلقت في عدة محافظات مطلع أكتوبر 2019 وفي مقدمة المطالب الخلق من النفوذ الإيراني وإيقاف العمل بعملية المحاصصة الطائفية القائمة منذ عام 2003 وتشريعاتها، والتزديد بعمليات القتل والاختطاف والاختفاء القسري التي تتحمل مسؤوليتها الميليشيات المسلحة التي ترفع الشعارات الدينية في استعراضاتها العسكرية معلنة أن المعتقد فوق الجميع، ورغم عمليات قمع

والمذهبية، وشملت شعارات المتظاهرين المطالبين بالقضاء على الفساد، مطالب فصل الدين عن السياسة، لتكون بمثابة الشرارة الأولى لبدء استعادة قيم المواطنة التي تجمع تحت مظلتها جميع الطوائف والأعراف والقوميات، مهما بدا هذا بعيد المنال.

وأطلق البعض عبارة "الوعي الشيعي" على احتجاجات الشباب التي انطلقت في عدة محافظات مطلع أكتوبر 2019 وفي مقدمة المطالب الخلق من النفوذ الإيراني وإيقاف العمل بعملية المحاصصة الطائفية القائمة منذ عام 2003 وتشريعاتها، والتزديد بعمليات القتل والاختطاف والاختفاء القسري التي تتحمل مسؤوليتها الميليشيات المسلحة التي ترفع الشعارات الدينية في استعراضاتها العسكرية معلنة أن المعتقد فوق الجميع، ورغم عمليات قمع

حادثة فلوريدا تكشف كذبة «أميركا بوتقة انصهار الثقافات»

لأنصار ترامب أبدى بعضهم خلافا استعدادا تاما للنزول إلى الشوارع وإنهاء حركات الاحتجاج خلال 24 ساعة في تهديد واضح باستخدام القوة.

وهذا التهديد تلقاه الجميع بقلق شديد تزامن مع تصاعد نبرة الحديث للتيار اليميني في وسائل الإعلام، كما يظهر من تصريحات جاريد تايلور محرر مجلة "النهضة الأميركية" ذات التوجه العنصري.

وبعد أن كانت أميركا هي بوتقة انصهار الثقافات والمعارف المختلفة للمهاجرين، تضاعفت اللحمة الاجتماعية وتعاضمت الانقسام المجتمعي وأصبح العدو داخليا مع تصاعد الخطاب العنصري والذي يتهجم ترامب بشكل أساسي أنه المتسبب فيه، إلى جانب عوامل متعددة ساهمت في تراجع تأثير الطبقة الوسطى المتعلمة التي كان يعول عليها أي مرشح للرئاسة في مقابل تنامي التطرف اليميني.

ويخشى مراقبون من أن تهديد ترامب بإعلان حركة أنقيا المعادية للأشياء واليمين المتطرف والرأسمالية وكل من يستهدف المهمشين والأقليات، "جماعة إرهابية" قد يمهّد لمكارتية جديدة في الولايات المتحدة يتم على إثرها إطلاق حملة اعتقالات ضخمة تضم كل من يكرهه ترامب أو يخشاه، لتتكرر كارثة المكارتية التي أخذ المجتمع الأميركي وقتا طويلا ليعتافي من تبعاتها.

وتتعدد أسباب الاحتجاجات التي تنتشر في الولايات المتحدة الآن إلى أن أزمة المواطنة لا تتعلق فقط بالشباب في العالم العربي، فأوجه التربية غير الجامعة في المجتمع الأميركي أيضا وقفت عائقا أمام تقبل ذوي الأصول الأفريقية كمواطنين لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات.

ويلقى الكثيرون باللوم على الرئيس الأميركي دونالد ترامب في ما تشهده الولايات المتحدة من انقسام مجتمعي، وفي طريقة التعامل العنيف للشرطة مع المتظاهرين، لكن الغضب المتصاعد في البلاد له جذور أعمق من ذلك.

ونذكرت دويتشه في تقرير لها، أن وصول باراك أوباما كأول رئيس أميركي من أصول أفريقية إلى الحكم في الولايات المتحدة لم يكن أمرا جيدا لدى البعض ممن يكرهون الآخر المختلف، غير الأبيض، غير الأميركي، المهاجر، حتى وإن كان أوباما هو مجرد الابن لأم أفريقية وأم أميركية.

وأشارت صحيفة "لوموند" الفرنسية بتجربة الشباب اللبنانية في تجاوز اختلافاتهم الطائفية والاجتماعية لمصلحة الوطن، وتحت عنوان "غضبنا يقربنا، أسقطنا جدار المخاوف الطائفية: الشعب اللبناني متحد ضد قاداته"، أوضحت الصحيفة أن مئات الآلاف من اللبنانيين يظاهرون في أجواء استثنائية من الحماسة والاتحاد رغم خلافاتهم الطائفية التي مزقت بلادهم لسنوات.

ولاول مرة منذ الحرب الأهلية اللبنانية التي استمرت أكثر من 16

والمذهبية، وشملت شعارات المتظاهرين المطالبين بالقضاء على الفساد، مطالب فصل الدين عن السياسة، لتكون بمثابة الشرارة الأولى لبدء استعادة قيم المواطنة التي تجمع تحت مظلتها جميع الطوائف والأعراف والقوميات، مهما بدا هذا بعيد المنال.

وأطلق البعض عبارة "الوعي الشيعي" على احتجاجات الشباب التي انطلقت في عدة محافظات مطلع أكتوبر 2019 وفي مقدمة المطالب الخلق من النفوذ الإيراني وإيقاف العمل بعملية المحاصصة الطائفية القائمة منذ عام 2003 وتشريعاتها، والتزديد بعمليات القتل والاختطاف والاختفاء القسري التي تتحمل مسؤوليتها الميليشيات المسلحة التي ترفع الشعارات الدينية في استعراضاتها العسكرية معلنة أن المعتقد فوق الجميع، ورغم عمليات قمع

والمذهبية، وشملت شعارات المتظاهرين المطالبين بالقضاء على الفساد، مطالب فصل الدين عن السياسة، لتكون بمثابة الشرارة الأولى لبدء استعادة قيم المواطنة التي تجمع تحت مظلتها جميع الطوائف والأعراف والقوميات، مهما بدا هذا بعيد المنال.

وأطلق البعض عبارة "الوعي الشيعي" على احتجاجات الشباب التي انطلقت في عدة محافظات مطلع أكتوبر 2019 وفي مقدمة المطالب الخلق من النفوذ الإيراني وإيقاف العمل بعملية المحاصصة الطائفية القائمة منذ عام 2003 وتشريعاتها، والتزديد بعمليات القتل والاختطاف والاختفاء القسري التي تتحمل مسؤوليتها الميليشيات المسلحة التي ترفع الشعارات الدينية في استعراضاتها العسكرية معلنة أن المعتقد فوق الجميع، ورغم عمليات قمع

والمذهبية، وشملت شعارات المتظاهرين المطالبين بالقضاء على الفساد، مطالب فصل الدين عن السياسة، لتكون بمثابة الشرارة الأولى لبدء استعادة قيم المواطنة التي تجمع تحت مظلتها جميع الطوائف والأعراف والقوميات، مهما بدا هذا بعيد المنال.

وأطلق البعض عبارة "الوعي الشيعي" على احتجاجات الشباب التي انطلقت في عدة محافظات مطلع أكتوبر 2019 وفي مقدمة المطالب الخلق من النفوذ الإيراني وإيقاف العمل بعملية المحاصصة الطائفية القائمة منذ عام 2003 وتشريعاتها، والتزديد بعمليات القتل والاختطاف والاختفاء القسري التي تتحمل مسؤوليتها الميليشيات المسلحة التي ترفع الشعارات الدينية في استعراضاتها العسكرية معلنة أن المعتقد فوق الجميع، ورغم عمليات قمع

يعيش جيل الشباب حالة من الاستقطاب العرقي والديني، فاقمت من أزمة الانتماء للوطن، ومع حالة الصراعات والنزاعات أصبح الولاء للمعتقد والعرق قبل الوطن، ومفهومها الطائفة والمواطنة يبدوان وكأنهما يزدانان تباعدا عن بعضهما البعض.



رويدة رفاعي صحافية سورية

سني شيعي قبلي درزي ماروني أزدوكسي، كردي نوبي تركماني أمازيغي... ثم يأتي الوطن، عين على الطائفة أو القومية أو العرق وعين على الوطن، هو حال الشباب في الدول العربية ذات القوميات والطوائف المتعددة وربما ليس من قبيل المصادفة أن هذه الدول تعيش أوضاعا صعبة وسط الاحتجاجات والتدهور الاقتصادي والانقسامات السياسية.

وتقع مسؤولية هذه الأوضاع الكارثية وفق النظريات المتوارثة على مر الأجيال، على المؤامرات الدولية والمصالح الأجنبية وطمع الغرب بشروات البلاد وخيراتها وإمكاناتها والصهيونية والإمبريالية العالمية وقائمة طويلة من الاتهامات والمبررات، لكن ليس من ضمنها أن إحساس الجيل الجديد بالانتماء للوطن يخبو أمام الطائفة أو القومية أو العرق أو القبيلة.

الانتماء إلى هذه الفئة أو تلك تتبعه مباشرة حالة سريرية من مثالية "نحن" الضامنين لوحدة الوطن والأحق بالتسديد والتمثيل الشرعي للبلاد بصيغة وطنية بحتة، بمقابل شيطنة "هم" الذين يهددون وجود الأقليات الأخرى والباحثين عن السيطرة والهيمنة رغم أنهم أقل منزلة وقدرًا ومكانة.

والمفارقة أن هذه الحالة من الاستقطاب العرقي والديني ظاهرة يعيشها الجيل الحالي، ولم تكن بهذه الحدة لدى الأجيال الأكبر سنا التي عاشت قيما وطنية أكثر وضوحا وحرصا على التماسك الاجتماعي مما هو قائم اليوم، حيث تفاقمت أزمة القيم الوطنية التائهة بين المعتقدات الدينية والمذهبية والقوميات المتعددة، وكرستها التنظيمات المتطرفة التي سددت ضربة قاضية لمفهوم المواطنة عند العديد من الشباب.

الحياد ممنوع

ساهمت التنظيمات الدينية المتشددة ليس فقط بالتأثير على أتباعها ومناصريها والمؤيدين لفكرها جعلها تحل بديلا عن مفهوم الانتماء للوطن، وإقصاء الآخرين المخالفين لها، بل حتى أولئك الذين التزموا الصمت ووقفوا على الحياد لأسباب عديدة أصبحوا فئة أخرى لا تنتمي لهذه ولا لتلك، ولا تستحق الانتماء للوطن بمفهوم المختلفين.

وتعشى الانتماء بالجماعة الدينية أو العرقية والانتماء للمعتقد قبل كل شيء، بينما انحسر الانتماء للأرض والوطن الجامع لكافة هذه الفئات، ومع الدخول في دوامة العنف في المنطقة والتي يتسع نطاقها بانساع التحالفات وتفاوت المصالح، زادت من نسبة الشباب المدينين بالولاء للمعتقد والعرق قبل الوطن، مهما عنى الوطن لهم، ومفهومها الطائفة والمواطنة يبدوان وكأنهما يزدانان تباعدا عن بعضهما البعض في بلدان كالعراق وسوريا ولبنان ومصر ودول عربية أخرى.

وتبعها حالة من اليأس بين الشباب من إمكانية التغيير إذ يقول أحد الشباب العراقيين "في معظم من المسلمين تجد بروز طائفة ما، وتقوم ببناء المساجد الخاصة ببناء طائفتها وتدرس مذهبها الديني في المدارس وتفرض معتقداتها على الجميع، وهذا يعني الانفصال والانزعال التام عن أبناء الطوائف المختلفة".

الوعي الشيعي

لكن الانقفاضة الشعبية في العراق أعادت بعض الاعتبار للقيم الوطنية مع رفع المتظاهرين الشباب شعارات ضد الطائفية

